محلا السجايا بالطلاقة والبشر واحتمى بالبر حتى ظننته بريدا اخذ الحي في حياتي ولا ادري
ونزه عن غير الصفا اجتماعنا فكنت واياه كعلين في صدر وشا السرور ان يلينا بثالث
فلا اطلعنا بالبدر او باخي البدر بمعطي العيون ما اشتهت من جماله ومضني القلوب بالتجنب والهجر
جنينا جني الورد في غير وقته وزهر الربا من روحي خديه والثغر وقابلنا من وجهه وشرابه
بشمسين في جنحي دجى الليل والشعر وغنى فضار السمع كالطرف اخذا باوفر حظ من محاسنه الزهر
ومتعنا من وجنتيه بمثل ما تمزج كفاه من الماء والخمر سرور شكرنا منة الصحو اذ دعا
اليه ولم نشكر به منة السكر كان الليالي بمن عنا فعند ها تنبههن نكبن الوفا الى الغدر
معي فكاني كنت فيه مهولا يحدث عن طيف الخيال الذي يسر وهل يجمل الانسان من كل ما به
سامحة الايام الا على الذكر قال فلم ازل على اثر قلق واعظم حسره واشد تاسف على ما سلبته من عظيم
النعمه بفراق الفتى لا اتجا ولم احصل منه على حقيقة علم ولا يتبين خبره يؤدياني الى الطمع في لقايه
الى ان عاد سيف الدوله الى دمشق وانا في جملته فابدأت بشي قبل المسير الى الراهب وقد كنت حوطت
اسمه فخرج الي مرعوبا وهو لا يعرف السبب فلما راي استطير فرحا واقسم ان لا يخاطبني الا بعد
النزول والمقام عنده يومي ذلك ففعلته قال ما لي اراك لا تسالني عن صديقك قلت والله ما لي فكر
ينصرف عنه ولا اسف يجاوز ما جرحته منه ولا سررت بعودي الى هذا البلد الامن اجله ولذلك بدات
بقصدك فاذكر لي خبره فقال اما الان فنعم هذا فتى من المارد داين جميل القدر عظيم النعمه كان
هيمن من سلطانه بعصر ضياعا بمال كثير فحاس به خيانه لقعود السعر واشرف على الخروج من نعمته فاستتر
ولما اشتد البحث عنه خرج متخفيا الى ان ورد دمشق بزي تاجر فكان استتاره عند بعض اخوانه
ممن اخدمه فاني عنده يوما اذ ظهر لي وقال لصديقه اني اريد الانتقال الى هذا الراهب ان كان علي
ماموناً فذكر له صديقه مذهبي واظهرت السرور بما رغب فيه من الانس بي وانا لا اعرفه غير ان صديقي
قد امرني بخدمته وجعل في قلايتي فواصل الصوم فلما كان بعد ايام جاء الرسول من عند صديقنا
ومعه الغلام والخادم وقد لحقنا به ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة فلما نظر الى الغلام قال يا راهب
قد حل الفطر وجاء العيد ووثب اليه واعتنقه وجعل يقبل عينيه ويبكي ووقف على السفاتج فانفذها
مع ~~[illegible]~~ درج رقعه منه الى صديقه فلما كان بعد يومين حمل اليه الفي دينار وقال
له ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيعه فابتاع الة وفرسا ولم يزل مكبا على ما رايت الى ان ورد عليه
بالبغال والالات الحسنه وكتب اهله باجتماعهم الى صاحب مصر وتم يغفر اياه الحال في بعده عن وطنه
لضيق ذات يده مما يطالب به والتوقيع بحطيطة المال عنه معترف بالكتب فلما عزم على المسير قال
لغلامه سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا الى الراهب ليصرفه في مصالح الدير الى ان نواصل تعقده من مستقرنا
وسار وماله حسرة غيرك ولا اسف الا عليك لقطع الافات بذكرك ولا يشرب الاعلى ما يغنيه الغلام
من شوقك وهو الان بمصر على افضل الاحوال واجلها ما يخل بتفقدي ولا يغب بري فتعجلت بعض السلوه
عاعرفت من حقيقة خبره واقمت يومي عند الراهب وكان اخر العهد به انتهى
وبعصهم حتى اذا طاح منها المرحا من دهش واختل بالفم سلك العقد في الظلم
بتيمت باضاء الجو فالتقطت حبات منتثر في ضوء منتظم فظلت اللثم عيناها ومن عجب اني اقبل اسيافا سفكن دم
لسيدي عمر بن الفارض استشهد بها السيدي زروق على شرح الحكم وعد من قريب واستجب واجتنب غدا
وشمر عن ساق اجتهاد بنهضة وسر زمنا وانهض كسير فحظك البطالة ما اخذت عزمك الصحة
وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى واياك عل فهي اخطر علة وجد بسيف العزم سوف فان تجد
تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت ۞

حكى ابو علي محمد بن الحسن الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي
قال لما ورد ابو الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفا عن مصر وتعرضا
للوزير ابي محمد المهلبي بالتخييم عليه والمقام لديه التحف رداء الكبر واذال
ذيول التيه وناى بجانبه استكبارا وثنى عطفيه جبرية وازورارا فكان
لا يلاقي احدا الا اعرض عنه تيها وزخرف القول عليه تمويها يخيل عجبا
اليه ان الادب مقصور عليه وان الشعر بحر لم يرد غير مائه غيره
وروض لم يرد نواره سواه فهو يجني جناه ويقطف قطوفه دون من
تعاطاه وكل مجر في الخلا يسر ولكل نبا مستقر فغبر جاريا على هذه
الوتيره مدة اجرته رسن البغي فيها فظل يمرح في تيهه حتى اذا تخيل
انه السابق الذي لا يجاري في مضمار ولا يساوى عذاره بعذار وانه
رب الكلام ومفتض عذارى الالفاظ وما لك رق الفصاحة نثرا ونظما
وتربع دهره الذي لا يقارع فضلا وعلما وثقلت وطاته على كثير ممن
وسم نفسه بميسم الادب وانبط من مائه اعذب مشرب فطاطا بعض
راسه وخفض بعض جناحه وطامن على التسليم له طرفه وشاء معز
الدولة احمد بن بويه المقدم ذكره ان يرد حضرته وهي دار الخلافة
ومستقر العز وبيضة الملك رجل صدر عن حضرة سيف الدوله ابن حمدان
فكان عدوا مباينا لمعز الدوله فلا يلقى احدا بمملكته يساويه في صناعته
وهو ذو النفس الابية والعزيمة الكسروية والهمة التي لو همت بالدهر
لما تصرفت بالاحرار صروفه ولا دارت عليهم دوايره وتخيل الوزير المهلبي
رجاء بالعيب ان احدا لا يستطيع مساجلته ولا يرى نفسه كفواله ولا
يضطلع باعبائه فضلا عن التعلق بشي من معانيه وللروساء مذاهب في
تعظيم من يعظمونه وتفخيم من يفخمونه وتكرمة من يراعونه ويكرمونه
وربما حالت بهم الحال واوسلوا عن هذه الخليقة الانتقال وتلك صورة
الوزير المهلبي في عوده عن رايه هذا فيه ولم يكن هناك مزية يتميز ابو
الطيب بها عن التمييز الخدع من ابناء الادب فضلا عن العتيق القارح
الا الشعر ولعمري ان افنانه كانت فيه رطبة ومجانيه عذبة فنهدت
له متتبعا عواره ومقلما اظفاره ومذيعا اسراره وناشرا مطاويه ومنتقدا

Copyright © King Saud University